



إذا اشتد سواد الليل وغابت نجوم السماء وراء حجاب الغيم الكثيف لم يعرف المرء شرقاً من غرب ولا استطاع أن يميز شمالاً من جنوب، فعندي يضل الطريقَ مَنْ لم تكن في يده بوصلة تهديه. وأحسب أننا نعيش في هذه الأيام في مثل هذا الظلام، وأن كثيرين منا يتعرضون للحيرة والتشتت بين الحقائق والأوهام.

إن أهم ما يهمّنا هو أن لا نختار حيرة تدفعنا إلى ترك الثورة والجهاد، وأن لا نفقد الاتجاه فنمشي في طريق مُضلٍ يوردننا موارد التهلكة والضياع.

كان لنا من أول الثورة عدو وما يزال، هو نظام الاحتلال الأسدية الطائفية الذي ثرنا عليه لنسقطه ونحرر سوريا من ظلمه وطغيانه، ولم يكن لنا -في ثورتنا- عدو غيره.

ثم صار لنا عدو آخر هو الحزب اللبناني الطائفي الذي اقتحم بلادنا ووقف مع النظام فائزه وقال: نسقط معاً ومعاً نعيش (وما ليثت أن لحقت به مَثيلاته من المليشيات الطائفية العراقية والإيرانية، فهي وهو عدو واحد).

ثم صار لنا عدو ثالث حينما جاءت داعش فاحتلت أراضينا المحررة وقتلت مجاهدينا، وعملت على "تجريف" ثورتنا واقتلاعها من جذورها لإقامة مشروعها على أنقاض مشروعنا الذي قدّمنا فيه ربع مليون شهيد و مليون معتقل وجريح.

يا أيها الناس: إن مشروعنا واضحٌ وعدهنا معروف؛ إنه العدو الذي يصارعنا صراغاً وجودياً ولا ينazuنا على جزء من

المشروع. إنه العدو الذي يقول: أنا أو أنت، مشروعكم، أحذنا سيفوز بكل شيء والآخر سيخسر كل شيء. هذا هو جوهر صراعنا مع داعش وحالش والنظام السوري، صراع وجودي ليس فيه إلا رابح واحد، والآخر سيخسر مشروعه ويخرج من الميدان بلا شيء سوى الفقد والخساران.

نعم، إن لنا معركتنا الواضحة ولنا أعداءنا المعروفيين، فمن وقف معنا في جهادنا وسعينا لتحرير بلادنا وإنشاء دولتنا الحرة المستقلة فهو صديق يستحق منا المولاة في الحق والأخوة في الله، ومن وقف مع عدونا، مع أي عدو من أعدائنا، فهو منه ومنهم ولا يستحق منا إلا العداء.

أما من حجب عنا السلاح ومنع وصوله إلينا ثم زعم أنه جاء بنفسه لنصرتنا فإنما هو منافق كذاب. لقد انكشف الحجاب وظهر الخبيء ولم يعد ممكناً أن تخدع أمريكا شعراً كاملاً عاقلاً كالشعب السوري، فالصغير والكبير في سوريا يعلمون أن أمريكا منعت عن المجاهدين السلاح، ولا سيما السلاح النوعي، وأنها لم تُبال بالسوريين ومعاناتهم وهم مكشوفون أمام طائرات النظام، يتلقون صواريده وبراميله كل يوم بالمائات ثم لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم، لأن أمريكا قررت أن ذلك السلاح لا ينبغي أن يصل إلى أيديهم مخافة تسربه إلى الإرهابيين، فجاز -في شرعاها الأعوج- أن يُفنيهم الإرهابي الأكبر لكيلا تصل بعض الصواريخ إلى أيدي "إرهابيين" صغار!

ثم إن أمريكا أثبتت أن تؤمن سماء سوريا وتحظر فيها الطيران، فكانت كالتي حبست الهرة حتى ماتت، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من حشرات الأرض.

وكذلك أمريكا، لا هي وفّرت لنا الحماية ولا هي تركتنا نحصل على السلاح الذي نحمي به أنفسنا، ثم جاءت بحملة استعراضية تزعم أنها تريد إنقاذنا بها من الإرهاب! يا لخبث أمريكا ونفاقها ويا لها من عدو لئيم؛ تصنع الإرهاب وتغذّيه وتحمييه، ثم تغزو بلادنا باسم الحرب على الإرهاب!

بقي أمر مهم لا بد من تبيانه حتى لا نضيئ البوصلة ونفقد الاتجاهات، وهو تبيان يحتاج إلى صراحة نقولها بمحبة وأخوة، وإنما نقول ما نقول حتى لا نقع في إثم الكتمان. إننا نخوض معركة واضحة مع عدو محدد كما قلت آنفًا، فمن كان معنا في هذه المعركة فهو منا ونحن منه ويستحق منا النصرة والولاء، ولكن ليس له أن يقودنا إلى معركة غير معركتنا وأن يُسقطنا في مستنقع ليس منه خروج.

أقول هذا تعقيباً على كلمة الجولاني الأخيرة التي شنّ فيها الحرب على الطواحين (على عادة خطابات القاعدة ومعاركها الدونكشوتية)، فهذّد وأوعد، ولم ينسَ أن يذكّر العالم بالحروب والحملات التي هدمت ممالك الكفر وأخضعت باريس وأجبرت موسكو على دفع الجزية للمسلمين! وهكذا فقد صار على الثورة السورية أن تحارب دول الجوار ودول الإقليم ودول الشرق والغرب أجمعين!

قد يقول قائل: ولكنه حاربهم لما حاربوا وقصروا مقرات النصرة. أقول: وماذا كان ينتظر من أمريكا وقد أعلنت النصرة أنها تنظيم تابع لقاعدة التي تحارب أمريكا وتهدها في عقر دارها؟ أكان منتظراً أن تردد أمريكا بقذف موقع النصرة بالورود والأزهار؟ وهل نستغرب أن تشارك في الحملة بعض دول الجوار بعدما نشر قاضي النصرة العام -منذ عدة أشهر فحسب- تغريدات يتوعّد فيها تلك الدول، فيقول (بالحرف): "يجب أن لا يُحصر الجهاد الآن في العراق والشام. لا بد من الدفع به عبر

حدود الجزيرة والأردن، وهذا استثمار مبارك لمن أحسن النظر"؟!

يوماً يقذف قائد النصرة في القلمون جماعة النصرة في معركة مع الجيش اللبناني ويوماً يعلن قاضي النصرة الحرب على الأردن والسعوية! أعزّ على جبهة النصرة أن يجد اللاجئون السوريون ملجاً في الأرض فأرادت أن تغلق دونهم بابه وتفتح لهم باباً لملاجاً في السماء؟

يا قوم: مَنْ كانت له معركة فليخُضْ معركته كيف شاء، ولكن لماذا تفرضون على أهل الشام معارككم الهوجاء؟
ولماذا يتوجب على أهل الشام أن يستقبلوا كل محارب ثم يكونوا جزءاً من معركته ضدَّ مَنْ يحارب؟
من قال لقاضي النصرة في الشام إن أهل الشام يريدون أن يكونوا جزءاً من حربه على دول الجوار؟
ومن قال لأمير النصرة إن أهل الشام سيكونون جنداً في غزواته على واشنطن وموسكو وروما وباريس، أو أنهم سيكملون الحروب التي فتحتها القاعدة في كل مكان في الدنيا ثم تركتها بلا نهايات؟

إننا لنتساءل (وَحْقٌ لَنَا أَنْ نَفْعَلْ):

هل جاءت النصرة إلى الشام لتنتصر لأهلها وتعينهم على تحقيق مشروعهم العام أم جاءت ل تستنصرهم وتستعين بهم لتنفيذ مشروعها الخاص؟

لقد نصّح الناصحون إخواننا في النصرة -منذ دهر- أنْ فُكُوا ارتباطكم بالقاعدة واحصروا جهادكم في الشام كما صنع الأحرار، بل إن قادة أحرار الشام (الشهداء بإذن الله) كانوا على رأس الناصحين.

ولكن إخواننا في النصرة أَبْوَا أن يستمعوا للناصحين، ولماً قام فيهم رجل رشيد بخطّ خطة للإصلاح نبذوه وخلّوا بينه وبين عصابة داعش ففتكت بجنوده وأجْلَتْه عن أرضه، ثم أقصّوه عن القيادة الشرعية للنصرة واستمروا على المنهج القديم الذي ألغوه، فضاعت فرصة في المراجعة والإصلاح قد لا تتكرر ولا تسنح مثلها في قوادم الأيام.
المشتكي إلى الله؛ بين نفاق أمريكا وقتل الطواحين ضاع أهل الشام.

الزلزال السوري

المصادر: